

د عاكض الفرنسي

يومك يومك و ما مضى فانه

تذكر الماضي والتفاعل معه واستحضاره ، والحزن لما سبه حمق وجنون ، وقتل للإرادة وتبديد للحياة الحاضرة. إن ملق الماضي عند العقلاء يطوى ولا يورى ، يُغلق عليه أبداً في زنازة النسيان ، يُقيد بحبال قوية في سجن الإهلال فلا يخرج أبداً ، ويُصد عليه فلا يرى النور ؛ لأنه مضى وانتهى ، لا الحزن يعيده ، ولا اله يصله ، ولا الغم يصححه ، لا الكدر يحويه ، لأنه عدم ، لا تعيش في كابوس الماضي وتحت مظلة الفائت ، أقت نفسك من شبح الماضي ، أترى أن تزد النهر إلى مصبه ، والشمس إلى مطلعها ، والطفل إلى بطن أمه ، واللبن إلى الثدي ، والدمنة إلى العين ، إن تفاعل مع الماضي ، وقلقك منه واحترقك بناره ، وانطراحك على أعتابه وضع مأساوي رهيب مخيف مفرغ .

القراءة في دفتر الماضي ضياغ للحاضر ، وتمزيق للجهد ، ونسف للساعة الراهنة ، ذكر الله الأم وما فعلت ثم قال : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ انتهى الأمر وقضي ، ولا طائل من تشرح جنة الزمان ، وإعادة عجلة التاريخ .

إن الذي يعود للماضي ، كالذي يطحن الطحين وهو مطحون أصلاً ، وكالذي ينشر نشارة الخشب . وقدماً قالوا لمن يبكي على الماضي : لا تخرج الأموات من قبورهم ، وقد ذكر من يتحدث على السنة البهائم أنهم قالوا للحار : لم لا تجتر ؟ قال : أكره الكذب . إن بلاءنا أننا نغفر عن حاضرننا ونشتغل بماضينا ، نهمل قصورنا الجميلة ، ونندب الأطلال البالية ، ولئن اجتمعت الإنس والجن على إعادة ما مضى لما استطاعوا ؛ لأن هذا هو الحال بعينه . إن الناس لا ينظرون إلى الوراء ولا يلتفتون إلى الخلف ؛ لأن الرّيح تتجه إلى الأمام والماء ينحدر إلى الأمام ، والقافلة تسير إلى الأمام ، فلا تخالف ستة الحياة . إذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، اليوم غنّسب ستعيش ، فلا أمس الذي ذهب بخيره وشره ، ولا الغد الذي لم يأت إلى الآن . اليوم الذي أطلت شمسه ، وأدركك نهاره هو يومك غنّسب ، عمرك يوم واحد ، فاجعل في خلدك العيش لهذا اليوم وكأنك ولدت فيه وموت فيه ، حينها لا تتعثر حياتك بين هاجس الماضي وهمه وغمه ، وبين توقع المستقبل وشبحه الخفيف وزحفه المرعب ، لليوم فقط اصرف تركيزك واهتمامك وإبداعك وكذك وجذك ، فلهذا اليوم لا بد أن تقدم صلاة خاشعة وتلاوة بتدبر وإطلاعا بتأمل ، وذكراً بحضور ، وانزاعاً في الأمور ، وحسناً في خلق ، ورضاً بالمقسوم ، واهتماماً بالمظهر ، واعتناءً بالجسم ، ونفعاً للآخرين . لليوم هذا الذي أنت فيه فتقسم ساعاته وتجعل من دقائقه سنوات ، ومن ثوانيه شهوراً ، تزرع فيه الخير ، تسدي فيه الجميل ، تستغفر فيه من الذنب ، تذكر فيه الرب ، تنبأ للرحيل ، تعيش هذا اليوم فرحاً وسروراً ، وأمناً وسكينة ، ترضى فيه برزقك ، بزوجتك ، بأطفالك بوظيفتك ، ببيتك ، بعلمك ، بمستواك ﴿ فَخُذْ مَا آتَيْتَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ تعيش هذا اليوم بلا حزن ولا انزعاج ، ولا سخط ولا حقد ، ولا حسد .

إن عليك أن تكتب على لوح قلبك عبارة واحدة تجعلها أيضاً على مكتبك تقول العبارة : (يومك يومك) . إذا أكلت خبزاً حاراً شهياً هذا اليوم فهل يضرك خبز الأمس الجاف الرديء ، أو خبز غد الغائب المنتظر .

إذا شربت ماءً عذباً زلالاً هذا اليوم ، فلماذا تحزن من ماء أمس الملح الأجاج ، أو تهتم لماء غد الأسن الحار . إنك لو صدقت مع نفسك بإرادة فولاذية صارمة عارمة لأخضعت لنظرية : (لن أعيش إلى هذا اليوم) . حينها تستغل كل لحظة في هذا اليوم في بناء كيانك وتمية مواهبك ، وتركبة عملك ، فتقول : لليوم فقط أهدب ألفاظي فلا أنطق هجراً أو فحشاً ، أو سباً ، أو غيبة ، لليوم فقط سوف أرتب بيتي ومكتبتي ، فلا ارتباك ولا بعثرة ، وإنما نظاماً ورتابة . لليوم فقط سوف أعيش فأعتني بنظافة جسدي ، وتحسين مظهري والاهتمام بهندامي ، والالتزان في مشيتي وكلامي وحركاتي . لليوم فقط سأعيش فأجتهد في طاعة ربي ، وتأدية صلاتي على أكمل وجه ، والتزود بالنوافل ، وتعاهد مصحفي ، والنظر في كتيبي ، وحفظ فائدي ، ومطالعة كتاب نافع . لليوم فقط سأعيش فأغرس في قلبي الفضيلة وأجتث منه شجرة الشر بغصونها الشائكة من كبر وعجب ورياء وحسد وحق وغل وسوء ظن . لليوم فقط سوف أعيش فأفزع الآخرين ، وأسدي الجميل إلى الغير ، أعوذ مريضاً ، أشيع جنازة ، أدل حيران ، أطعم جائعاً ، أفرج عن مكروب ، أقف مع مظلوم ، أشفع لضعيف ، أواسي منكوباً ، أكرم عالماً ، أرحم صغيراً ، أجل كبيراً .

لليوم فقط سأعيش ؛ فيا ماضٍ ذهب وانتهى اغرب كشمسك ، فلن أبكي عليك ولن تراني أقف لأتذكرك لحظة ؛ لأنك تركتنا وهجرتنا وارتحلت عنا ولن تعود إلينا أبد الأبدن . ويا مستقبل أنت في عالم الغيب فلن أتعامل مع الأحلام ، ولن أبيع نفسي مع الأوهام ولن أتعبّل ميلاد مفقود ، لأن غداً لا شيء ؛ لأنه لم يخلق ولأنه لم يكن مذكوراً . يومك يومك أيها الإنسان أروع كلمة في قاموس السعادة لمن أراد الحياة في أبهى صورها وأجمل خللها .